بناء مدينة زبيد في اليمن

الدكتور طاهر مظفر العميد
قسم الآثار

ينسب اختطاط مدينة زبيد اليمنية الى محمد بن زياد[1] عامل الخليفة العباسي المأمون على اليمن[2] . وكان قد بدأ بناؤها في شهر شعبان

---

(١) في مخطوط « العسجد المسبوك » للخزرجي ورقة /١٠٣ لا يشير الى اسمه وانما يكتفي بالقول « فانتسب أحدهم الى يزيد بن معاوية بن ابى سفيان » ، أما عمارة بن ابى الحسن فى كتابه المفيد فيشير « فأنتسب احدهم واسمه محمد بن فلان بن عبيد الله بن زياد الى زياد .. » ، اما ابن الديبع فى محفوظه « قره العيون » ورقة ٦١ فلا يشير الى اسمه الكامل الصريح وانما يقول بأنه ينتسب الى بنى امية ويسميه « ابن زياد » ، وينسبه الجندى فى « السلوك » الى عبيدالله بن زياد بن ابيه . ويقتبس ابو الندا ، فى المختصر فى تأريخ البشر ج٢ ، ص ٢٦ رواية عمارة ، أما ياقوت فى معجمه ١٣١/٣ فيشير بأنه من ولد زياد بن ابيه ثم يسميه فى مواضع أخرى « بالزيادى » تاره و « ابن زياد » تارة أخرى ، ونفضل تسميته بمحمد بن زياد « اذ أن بعض النصوص التأريخية تشير اليه باسم (ابن زياد) ناسبه أياه الى جده زياد بن أبيه » أو فيما عرف بعد الحاقه بنسب ابى سفيان « زياد بن ابى سفيان » والبعض الاخر يطلق عليه اسمه الاول « محمد » .

(٢) وردت روايات تكاد تكون متشابهة عن كيفية مجيء محمد بن زياد لامارة اليمن ، والظاهر أن أقدم هذه الروايات تلك التى رواها عمارة ابن أبي الحسن فى كتابه المفيد ، عن ابى الحسن احمد بن ابراهيم الاشعرى وابى منصور نزار بن عبدالملك المكى وهما من المعروفين بأيام الناس وانسابهم واخبارهم ، ونقل عنه فيما بعد كل من كتب عن تأريخ اليمن من اللاحقين والمتأخرين ، وعلى وجه الخصوص رواية أبي الحسن الخزرجي فى كتابه المخطوط « العسجد المسبوك » الورقة ١٠٣ و ١٠٤ ورواية ابن الديبع فى كتابه المخطوط « قرة العيون » ورقة ٦١ ، ومخلص رواية عمارة

من عام ٢٠٤ للهجرة[٣] .

ومن الطبيعي أن يتخذ الامير الجديد مكانا حصينا يجعله دارا لحكمه ، ومستقرا لامارته ، واتخاذ مثل هـذا المركز يكاد يكون من مستلزمات الحكم الجديد ، الذى جاء على انقاض امارة سابقة أرهقتها ثورة القبائل ، ومزقتها العناصر المناوئة للحكم العباسى ، ولعل التأريخ يشهد بأن محمد بن زياد ، كان أميراً بعيد النظر ، ذو عقلية بارعة فى التخطيط العسكرى والمدنى معا ، فلقد قاتل الخارجين على طاعة الخليفة العباسى قتالا مريراً[٤] ، حتى جعلهم يعودون الى الطاعة بالقوة ، ولا يستبعد أن يعودوا الى الخروج ثانية ، اذا ما لمسوا فى الامير ضعفا .

ابن ابى الحسن انه « فى سنة تسع وتسعين ومائة أتى بقوم من أمية فانتسب اثنان منهما الى بنى أمية وثالث الى تغلب بن وائل ، فقال المأمون ، أما الامويان فيقتلان ، وأما التغلبى فيعفى ، فقال له ابن زياد يا أمير المؤمنين ما نزعنا ابدا عن طاعة وان كنت تقتلنا عن جنايات بني امية فيكم فانا نقول«ولا تزر وازرة وزر اخرى» فاستحسن المأمون كلامه ثم عفى عنهم ثم اضافهم الى الحسن بن سهل وقيل الى الفضل بن سهل ذى الرئاستين ، ولما جاء محرم سنة ٢٠٢ هـ ، ورد على المأمون كتاب عامل اليمن بخروج الاشاعر على العباسيين فأثنى ابن سهل عند المأمون على محمد بن زياد وعلى المرواني والتغلبي ، أشار بتسييرهم الى اليمن ابن زياد أميرا وابن هشام وزيرا والتغلبي حاكما ومفتيا فخرجوا فى الجيش الذى جهزه المأمون الى العراق لحرب ابراهيم بن المهدي فحج ابن زياد ومن معه سنة ثلاث ومائتين وسار الى اليمن بعد انقضاء الحج ففتح تهامه بعد حروب شديدة .

(٣) انظر عمارة بن أبي الحسن ، المفيد ، الخزرجي ، «العسجد المسبوك» مخطوط ورقة ١٠٤ ، ابن الديبع « قرة العيون » مخطوط ورقة ٦٢ ، اليمانى ، تأريخ اليمن ، صفحة ٥٢ ، ياقوت ، معجم البلدان ج ٣ صفحة ـ ١٣٢ .

(٤) يشير ابن الديبع فى كتابه المخطوط « قرة العيون » الورقة ٦٢ بأن محمد بن زياد فتح تهامة بعد حروب شديدة ، مما يؤكد أنه جوبه بمقاومة عنيفة .

واذا كان تأسيس مدينة عسكرية جديدة ، تكون مركزا للامارة ، ونقطة تجمع القوات المقاتلة من الجند النظاميين ، من الامور الواجبة لحفظ النظام والملزمة لاستتباب الامن ، فأن اختيار المكان الملائم لهذه المدينة من النواحي الستراتيجية والمناخية والاقتصادية يكون الزم واوجب .

لا تشير المصادر بصراحة الى الاسباب التى دفعت محمد بن زياد الى تأسيس زبيد ، الا أن الباحث يستطيع أن يستنتج من الظروف والاحوال التى صاحبت مجيئه الى اليمن بعض تلك الاسباب ، ولهذا يمكننا أن نقرر بأن العامل العسكرى كان من اهم العوامل التى دفعته الى تشييد المدينة ، اذ المعروف من جميع النصوص التأريخية التى اشارت بأيجاز الى امر بناء المدينة بأن بعضا من عرب اليمن قد خرجوا على الدولة العباسية فى عام ٢٠٢ للهجرة[٥] . واذا ما القينا نظرة الى موقع زبيد ، وأمعنا فى طوبوغرافيه المنطقة امعانا دقيقا ، نلاحظ أن الامير محمد بن زياد قد وفق توفيقا كبيرا في اختيار المكان الملائم لبناء هذه المدينة .

ولقد جاء وصف المنطقة فى مخطوط « العسجد » مقتضباً لا يتناسب والاهمية العسكرية التى من أجلها مصرت ، والاهداف السياسية التى الزمت الحاكم فى الشروع ببناء مدينته .

---

(٥) تختلف المصادر العربية فى أمر خروج هذه القبائل على العباسيين ، فبعضها تسمي قبيلة وبعضها تشير الى قبيلتين والبعض الآخر يروى وقوع اضطرابات فى اليمن . فياقوت فى معجمه ٣ صفحات ١٣١ ـ ١٣٢ يشير الى ورود كتاب عامل اليمن فى سنة ٢٠٢ هـ الى الخليفة المأمون يخبره بخروج « الاعاشر » [يقصد الاشاعر وما ورد سابقا خطأ مطبعي] ، أما الخزرجي فى كتابه المخطوط « العسجد المسبوك » ورقة ١٠٤ فيروي بأنه فى المحرم من من سنة ٢٠٢ للهجرة ورد على المأمون كتاب عامله فى اليمن بخروج الاشاعرة وعك ويضيف الخزرجي بأنهما من أجل عرب تهامة ، أما أبو الفدا فى تأريخه ج ٢ ص ٢٦ ، فيكتفي بالقول بأنه قد بلغ المأمون اختلال أمر اليمن .

قال الخزرجى « ... وهى مدينة مدورة الشكل عجيبة الوضع على النصف ما بين البحر والجبال ومن جنوبها واديها المسمى زبيد المبارك المشهور المخصوص بالبركة لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بالبركة فبركته ظاهرة مشهورة ليس فى اليمن وادٍ ابرك منه ، ومن شمايلها الوادى رمع وقد شملته البركة بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة أيضا ، وهى مدينة بين واديين مباركين ، ومن شرقيها على مسافة نصف يوم الجبال الشامخة والحصون الراسخة والمعاقل المنيعة والمساكن الرفيعة ، ومن غربيها على مسافة نصف يوم البحر الزاخر والسفن المواخر والنخيل الباسقة والقصور الرائعة فجعلها ابن زياد دار ملكه ومستقر اقامته»(٦).

والنص السابق يشير بوضوح الى نقطتين مهمتين فى بناء مدينة زبيد ، الاولى شكل المدينة المدور ، والثانية موقعها الحصين ، وسأتناول بالبحث والشرح أمر كل نقطة منهما .

شكل المدينة المدور :

من غير شك أن الهدف الذى من اجله شيدت مدينة زبيد ، كما توضحه النصوص التأريخية ، هو الغرض العسكرى ، ومن الطبيعي أن الشكل الدائرى للمدن او للحصون يصبح اكثر فائدة واعم نفعا من تلك التى تبنى على شكل مربع او مستطيل ، ففى الشكل الدائرى تختفى الزوايا فى اركان السور اللواتى تحدثها الاسوار المربعة او المستطيلة .

اكتفى الخزرجى بقوله عن شكلها بأنها « مدينة مدورة الشكل ، غير أنه لم يشر ، هو او غيره من المؤرخين الذين عنوا بدراسة اليمن وتأريخه ، عن هيأة التدوير الذى بنيت المدينة عليه ، ولم يوضح بصورة قاطعة واكيدة هل انها كانت على شكل مستدير منتظم ، أم انها كانت غير منتظمة الاستدارة،

---

(٦) العسجد ، ورقة ١٠٤ .

والنصوص القليلة المتوفرة التى تتناول حضارة اليمن لا تشجع الباحث على تغليب رأى أو ترجيح نظرية ، ونترك ذلك الى المستقبل فلعل التنقيبات التى يمكن أن تجرى فى موقع هذه المدينة التأريخية تميط اللثام عن ظاهرة التدوير المعمارية هذه ، لذا فأننا نرجىء البحث في الاصول المعمارية لظاهرة التدوير المعمارية هذه ، لذا فأننا نرجىء البحث في الاصول المعمارية لظاهرة ومن يود الاستزادة فى بحث ظاهرة التدوير فى العمارة الاسلامية فهناك بعض البحوث المهمة التى تناولت هذه الدراسة بالشرح والتفصيل(٧) .

---

(٧) ينظر فى البحوث التالية :

Creswell,
Early Muslim Architecture, Vol., P. 18

ثم كتابه المختصر صفحة ١٧ وما بعدها .

Ashort Account of Early Muslim Architecre, pp.170

- البلدان ، اليعقوبي صفحة ٢٣٨ .
- تأريخ بغداد ، الخطيب ، ج ١ صفحة ٧٢ وما بعدها .
- تأريخ الرسل والملوك ، الطبري ، ج ٦ صفحة ٢٦٥ .
- معجم البلدان ، ياقوت ، ج ١ صفحة ٦٨٣ .
- الاعلاق النفسية ، ابن رسته ، صفحة ١٦٠ .
- العرب قبل الاسلام ، جرجي زيدان ،صفحة ١٤٢ .
- دراسات فى تأريخ الشرق القديم ، الدكتور احمد فخرى ، صفحة ١٧٦ .
- بغداد مدينة المنصور المدورة ، الدكتور طاهر مظفر العميد ، صفحات ١٩٥ ـ ٢١١ .
- مجلة كلية الآداب ، العدد الثانى عشر لسنة ١٩٦٩ ، بحث للدكتور طاهر العميد بعنوان المظاهر العسكرية فى بناء بغداد المدورة ، صفحات ٣٠٣ ـ ٣١١ .
- History of Art in Chaldea and Assyria, Perrot and Chipiez, 11, Plate XII.
- In von Luschan, Ausgrabungen in Sendschirli Koldewey.

ويشير الخزرجي في مخطوطه الى طبيعة المنطقة التي أقيمت فيها مدينة زبيد ، ويستشف من الوصف الذي ذكره ، أن المكان المختار كان يفي بالمتطلبات العسكرية حيث تتوافر فيه شروط المدينة الحصينة ، ونظرة فاحصة ممعنة الى خارطة اليمن في اوائل القرن الثالث الهجري ، ترينا بصورة واضحة ، أن المنطقة التي بنيت فيها المدينة تتألف من وديان وسلاسل جبلية ، تشكل حواجز طبيعية تدرأ عن المدينة كل عدوان ، وتدفع عنها تسرب الوحدات العسكرية ، فهي كما كتب الخزرجي تقع « على النصف ما بين البحر والجبال » حيث تشرف عليها من الجانب الشرقي وعلى بعد مسيرة نصف يوم ، سلاسل جبلية شامخة اقيمت على مشارفها الحصون الكبيرة والمعاقل المنيعة ، وفي غربها وعلى مسيرة نصف يوم أيضا يمتد ساحل البحر الاحمر ، فتكون حدود المدينة الشرقية مصانة بحاجز طبيعي منيع وحدودها الغربية مأمونة بممر مائي •

أما شمال المدينة فيشغلها وادي رمع ومن جنوبها وادي زبيد الذي سميت المدينة بأسمه •

لقد سبق وأشرت بأن الباعث الرئيسي الذي دعا المأمون الى بناء مدينة زبيد هو الباعث العسكري لذلك فأن جميع أقسام المدينة ومرافقها كانت تخدم الغرض الذي أنشئت من أجله • ومن المعروف أن تأريخ تشييدها أعقب الحرب المعروفة بين الاخوين الامين والمأمون في صدر الدولة

— Mission Archeologioue in Haute Djezire in Syria, XIfi p. 40.

— Etudes historiques sur la Perse ancienne, Noldeke, pp. 6-13.

— Fouills de Mantineé, Bulletin de Corresp hellenique, XIV, pp. 65-79.

العباسية ، تلك الحرب التى أضعفت الجانبين وأثرت تأثيرا كبيرا على قوة الجيش العباسى ، كما أدت الى تهديم أسوار مدينة المنصور المدورة التى اعتصم فيها الخليفة الامين ، وتصدعت معظم أجهزتها الدفاعية ومرافقها ، واذا جاز لنا أن نبحث فى تأريخ تلك الحرب ، ففى امكاننا أن نبين أن ثورة الاشاعر فى اليمن كانت احدى نتائج تلك الحرب ، اذ أنها اضعفت من قوة الدولة المركزية واوهنت من وحدة الجيش العباسى فى اقليمى خراسان والعراق ، مما حفز القوى المناهضة للدولة العباسية أن تنشط فى الخروج على ارادتها .

ورغبة من الخليفة المأمون فى أطفاء الحركات الثورية العسكرية المناهضة لحكمه ، وحرصا منه فى عدم تمكين القبائل القاطنة فى أطراف الدولة من استغلال الفراغ الناشىء من خلو المسالح والقلاع والمدن من الجند النظاميين ، أمر ببناء مدينة زبيد ، وقد لا يكون من المستبعد أن زود الخليفة المأمون الامير محمد بن زياد بالارشادات والتوصيات الخاصة فى أمر بناء هذه المدينة .

الفصل الاول من الباب الخامس
فى ذكر اختطاط زبيد وتملك بني زياد

قال علي بن الحسن الخزرجي قابله الله بالقبول حكى أبو الحسن عمارة بن ابى الحسن فى كتابه المفيد المصنف فى أخبار زبيد عن الشيخ الامام العالم النسابة أبىالحسن أحمد بنابراهيم الاشعرى والفقيه أبىمنصور نزار عبدالملك المكي وما منهما الا عالم بأيام الناس واخبارهم وانسابهم واشعارهم قال وقرأت فى كتاب الكبير المفيد الملك المكين طاهر الدين ابي الطامى جياش بن نجاح ، قالوا لما كان من سنة تسع وتسعين ومايـة أتي الى المأمون امير المؤمنين عبدالله بن هارون الرشيد بقوم من بني أمية بن عبد شمس فأنتسب احدهم الى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وانتسب

آخر الى سليمان بن هشام بن عبدالملك بن مروان وانتسب آخر الى تغلب ابن وايل وزعم أنه محمد بن هارون قالوا فبكى المأمون وقال وأنى لي بمحمد بن هارون يعنى أخاه الامين وكان الامين قد قتل فى سنة ثمان وتسعين ومأية وقد تقدم ذلك فى موضعه من الكتاب ثم قال المأمون : أما الامويان فيقتلان وأما التغلبى فيعفى عنه رعاية لاخيه واسم أبيه فقال له ابن زياد : يا أمير المؤمنين ما نزعنا ابدا عن طاعة وان كنت تقتلنا عن جنايات بني أمية فيكم فانا نقول ولا تزر وازرة وزر اخرى ، فاستحسن المأمون كلامه ثم عفى عنهم ثم اضافهم الى الحسن بن سهل وقيل الى الفضل بن سهل ذى الرياستين • فلما كان فى المحرم أول شهور سنة اثنتين ومائتين ورد على المأمون كتاب عامل اليمن بخروج الاشاعرة وعك وهم أجل عرب تهامة فأثنى ابن سهل عند المأمون على محمد بن زياد وعلى المرواني والتغلبي وانهم من أعيان الكفاة وأشار بتسييرهم الى اليمن ، ابن زياد أميراً وابن هشام وزيرا والتغلبى حاكما ومفتيا ، فخرجوا فى الجيش الذى جهزه المأمون الى العراق لحرب ابراهيم بن المهدى فحج ابن زياد ومن معه فى سنة ثلاث ومائتين وسار الى اليمن بعد انقضاء الحج ففتح تهامه بعد حروب شديدة جرت بينه وبين عرب تهامة المذكورين • فاختط مدينة زبيد وكان اختطاطها فى شعبان وقيل يوم الاثنين الرابع منه سنة اربع ومائتين وذلك بعد موت الشافعى رضى الله عنه بثلاثة أيام وهى مدينة مدورة الشكل عجيبة الوضع على النصف ما بين البحر والجبال ومن جنوبها واديها المسمى زبيد المبارك المشهور المخصوص بالبركة لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بالبركة فبركته ظاهرة مشهورة ليس فى اليمن وادٍ ابرك منه ومن شمالها الوادى رمع وقد شملته البركة بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة أيضا وهى مدينة بين واديين مباركين ومن شرقها على مسافة نصف يوم الجبال الشامخة والحصون الراسخة والمعاقل المنيعة والمساكن الرفيعة ومن غربها على مسافة نصف يوم البحر الزاخر والسفن المواخر والنخيل الباسقة

والقصور الرايقة فجعلها ابن زياد دار ملكه ومستقر اقامته فلما كان سنة خمس ومائتين حج من اليمن جعفر مولى ابن زياد بمال كثير وهدايا وتقدم الى العراق فصادف المأمون بها فأوصل ما عنده من الاموال والهدايا والنجف والالطاف فسر المأمون بذلك وسيره الى اليمن فى سنة ست وثمانين وسير معه ألفي فارس فمنهم من مسودة خراسان تسعمائة فعظم أمر ابن زياد وملك اقليم اليمن بأسرها الجبال والتهايم واشترط على عرب تهامه أن لا يركبوا الخيل فملك ابن زياد حضر موت بأسرها والشحر ومرباط وأبين وعدن والتهايم الى حلى بن يعقوب وبين حلى ومكة حرسها الله تعالى ثمانية أيام وملك من الجند واعماله ومخلاق جعفر ومخلاق المعافر وصنعاء واعمالها ونجران وبيحان والحجاز بأسره وقلد جعفر الجبال قال عمارة واليه ينسب مخلاق جعفر وهو الذى اختط مدينة المذيخرة • قال الجندى وهذا غير مسلم له بل الذى اختط مدينة المذيخرة السلطان جعفر بن ابراهيم المناخى والمناخيون ملوك رفضه ، والى السلطان ينسب مخلاق جعفر لا الى أحد غيره • ولما ملك ابن زياد اليمن واصل الخطبة لبني العباس وحمل الاموال العظيمة والهدايا النفيسة ولم يزل مالكا لليمن بأسره الى أن توفى فى سنة خمس واربعين ومائتين • فلما توفى محمد بن زياد فى التأريخ المذكور قام بالامر بعده ولده ابراهيم بن محمد بن زياد فقام بالامر أتم قيام ولم يزل مالكا لليمن سايرا سيرة حسنة الى أن توفى ايضا وكانت وفاته فى سنة تسع وثمانين ومائتين فلما توفى ابراهيم بن محمد بن زياد فى التأريخ المذكور قام بالامر بعده ولده زياد بن ابراهيم بن محمد بن زياد فلم تطل مدته ولم أقف على تأريخ وفاته فأذكرها • فلما توفى قام بالامر بعده اخوه اسحاق بن ابراهيم بن محمد بن زياد الملقب ابو الجيش فطالت مدته فى الملك وبلغ فيه نحوا من ثمانين سنة فتشعبت عليه أطراف وتغلب عليه كثير ممن كان تحت يده فمن أظهر له ما يكره صاحب صنعاء وهو أسعد بن

ابي يعفر ابراهيم بن محمد بن يعفر بن عبدالرحيم ولكنه كان يخطب لابي الجيش بن زياد ويضرب الدراهم على اسمه ولم يكن يحمل لابي الجيش هدية ولا ضريبة ولا غيرها وكان مبلغ ارتفاع اموال اسعد بن أبى يفعر لا تزيد على اربعمائة الف دينار فى السنة يصرف معظمها فى سبيل المروة لوافديه وقاصديه على اربعمائة الف دينار فى السنة • وثار بصعدة الامام الهادى يحي بن الحسين الرسى وتغلب عليها وامتنع من ملوك تهامة علي بن أبي الجيش الامير سليمان بن طرف صاحب عثر وبلاده مسيرة سبعة أيام فى عرض يومين وهى من الشرجة الى حلى ويبلغ ارتفاعه فى السنة خمسمائة الف دينار عشرية وكان مع امتناعه عن الوصول الى ابن زياد يخطب لـــه ويضرب السكة بأسمه ويحمل اليه مبلغا من المال وكذلك الحرامى صاحب حلى يحمل مبلغا من المال الى ابن زياد فى كل سنة ويخطب له ويضـــرب السكة على اسمه ولا يصل اليه • ولما طعن بن زياد فى السن وامتنع منه من امتنع وبقى فى يده من البلاد من عدن الى السرجة اعنى ســـرجة حـــرض وذلك نحو من عشرين مرحلة طولا ومن غلافقة الى اعمال صنعاء عرضـــا وذلك نحو خمس مراحل • وروى عمارة فى كتابه المفيـــد : قـــال رأيت مبلغ ارتفاع اعمال بن زياد بعد تقاصرها وذلك سنة ست وستين وثلثمائـــة من الدنانير الف الف دينار عشرية خارجا عن ضرائب حلى مراكب الهنـــد من الاعواد المختلفة والمسك والكافور وما اشبه ذلك وخارجة عن ضرائب العنبر فى السواحل من باب المندب الى الشحر وخارجا عن ضرائبه عـــلى معادن اللؤلؤ وعن ضرائبه على جزيرة وهلـــك وهـــى خمســـمائة وحيف وخمسمائة وصيفة من النوبة والجيش ، وكانت وفاة الامـــير أبي الجيش اسحاق بن ابراهيم بن محمد بن زياد فى سنة احدى وسبعين وثلثمائـــة • وخلف ولدا اسمه عبدالله وقيل زياد وقيل ابراهيم فتولت كفايته اخته بنت لابي الجيش اسمها هند وعبدا لابى الجيش اسمه رشيد فلم تطـــل مـــدة

رشيد وهلك عن قرب • وكان له عبد من مولدى النوبة اسمه حسين بن سلامة وهى امه وكان حازما شهما حسن السيرة وكان قد راش فى حياة سيده واستولى على أموره كلها فلما مات سيده قام مقامه وذب عن ملك مواليه ووزر لوالد أبي الجيش ولاخته هند بنت أبي الجيش وكانت الدولة قد تضعضعت وتغلب ولاة الاطراف أصحاب الحصون على ما تحت أيديهم فلم يزل حسين بن سلامة يغزوا المتغلبين من ولاة الاطراف واصحاب الحصون حتى دانوا له وحموا الاتاوة ودخلوا تحت الطاعة واستوثق له الامر ولم يبق له مدينة ولا حصن فى اليمن الا استولى عليه واستناب فيه من يرضاه وعادت مملكة بن زياد الاولى وهو الذى اختط مدينة الكدراء فى وادى تهامة ومدينة المعقر فى وادى ذوال وتزيا بالعدل وكان حسن السيرة محسنا الى الرعية كثير البر والصدقات وفعل الخير واعتمد سيرة عمر بن عبدالعزيز فى السلوك وهو الذى بنى الجوامع الكبار والمنابر الطوال فى المدن وحفر الآبار الروية وعمل المصانع وبنى الاميال والفراسخ والبرد فى الطرقات ومبتدأ عمارته من حضرموت الى مكة نحو من ستين مرحلة فى كل مرحلة جامع ومأذنة وبئر ، جدد عمارة الجامع بعدن وهو من عمارة عمر بن عبدالعزيز وعمر مسجد الجند المشهور ، قال عمارة وهو جامع أحمد بن طولون بمصر وكان مسجدا لطيفا أول من بناه معاذ بن جبل رضى الله عنه حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن •

واهل الجند وما حولها من القرى يروون فى فضل هذا المسجد أخبارا كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان زيارته فى أول جمعة فى رجب تعدل عُمرة او قال حجة وروى أبو سعيد الفضل بن محمد بن ابراهيم بن الفضل بن سعيد بن الفقيه عامر بن سراحيل الشعبى • قال حدثنا صامت بن معاذ الجندى حدثنا المثنى بن الصباح عن عمر بن شعيب عن ابيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال تشد الرحال الى أربعة

مساجد ، المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى ومسجد الجند • قال الحافظ بن أبي يسره ليس فى روايته كذاب ولا متروك وكان بعض الفقهاء يقول لا ينبغى رد هذا الخبر قال عمارة بن أبي الحسن والحسين ابن سلامة فى طريق مكة العليا عدة مآثر منها مسجد الجوة ثم مسجد الجند المذكور أيضا ثم ذى أشرف ثم ذمار ثم صنعاء مسافة خمسة أيام فى كل مرحلة منها بناء ثم جامع صنعاء وهو جامع عظيم • ثم من صنعاء الى صعدة عشرة أيام فى كل مرحلة من ذلك جامع ثم عقبة الطائف وهى مسيرة يوم للطالع من مكة ونصف يوم للهابط من مكة عمرها حسين بن سلامة عمارة متقنة يمشى فى عرضها ثلاثة أجمال بأحمالها ، فهذه الطريق العليا واما طريق تهامة فأنها مفترق طريقين ساحلية ووسطى ، والساحلية جامع وبئر فمن الساحلية المخنق وهى على ليلة من عدن له فيها بئر طولها ثلاثون باعا وجامع الشهيد ثم العارة ثم غيره ثم السقيا جامع وبئر طولها اربعون باعا ثم باب المندب ثم المخا ثم السحارى ثم الخوهة ثم الاهواب ثم غلافقة ثم منعة ثم الحردة ثم الشرجة ثم المفخر ثم القنديرهة ثم الدومة ثم حمضة ثم ذهبان ثم حلي ثم السرير ثم جدة • فهذه ساير السواحل ، وأما الطريق الوسطى فرات الحيب ثم موزع ثم الحرون ثم الحيس ثم فسال ثم الضحاك بكسر الضاد المعجمة ثم القحمة ثم الكدراء ثم المهجم ثم مور ثم الواديان ثم جيزان ثم الساعد ثم المبنى ثم رياح ثم يلقى طريق بالساحلية ويفترقان من السرير وبينهما وبين مكة خمسة أيام فأول ما يلقى من عمارته بئر الرياضه ثم شخة الغراب ثم الخبث ثم يرد الناس فى وادى يلملم وهو ميقات اهل اليمن وبه بئر بن عمارته ثم بئر ادام وهى بئر روية طولها عشرة ابواع وعرضها خمسة ابواع ثم يفترق الطريق فمن اراد مكة ورد من عمارته بئر البيضاء ثم القرين ثم مكة ومن أراد عرفات ورد من عمارته بئر وادى الرحمة ثم نعمان ثم عرفات وله مسجد على جبل الرحمة بعرفات •

وكان حسن السيرة صالح السريرة ويروى أنه خرج من مدينة زبيد يريد الكدراء فتظلم اليه انسان من أهل مور وزعم انه سرقت عليه عيبة فيها الف دينار فى وادى مور او قال الفا دينار فأجلسه مع خواصه وقام الى الصلاة فأطالها ثم نام فى المحراب ساعة ثم انتبه قال الراوى سمعته يقول لرجل من قواده أمضى مع هذا الى القرية الفلانية على الساحل فخذ ماله من فلان ابن فلان من غير أن تؤذيه فأن رسول الله صلى الله عليه وسلم شفع الىّ فيه فى النوم واخبرني انه ينتسب اليه وهو الذى عرفنى بصورة الحال • واخبار الحسين بن سلامة فى اليمن مجلدان بل مجلدات وكان ملكه نحوا من ثلاثين سنة وتوفى سنة اثنتين واربعمائة وقيل سنة ثلاث قاله الجندى والله أعلم ، وهو أول من أدار سورا على مدينة زبيد حكى ذلك فى كتاب المستنصر نصا وفى غيره مفهوما ثم ادار عليها سورا آخر الوزير ابو منصور الفاتكى فى سنة بضع وعشرين وخمسمائة ، وجاء ذكره فى موضعه من الكتاب ثم بنى السور الثالث فى أيام المهدى ثم بنى السور الرابع سيف الاسلام طغتكين بن أيوب ولها أربعة ابواب باب الى المشرق وهو المسمى باب الشبارق ينفذ الى الشبارق ، وهى قرية من قرى الوادى زبيد ثم الى حصن قواريز وغيره وباب الى المغرب وهو الذى يسمى الآن باب النخل وكان من قبل يسمى باب غلافقه والى الاهواب ، وغلافقة على ساحل البحر كان بندر مدينة زبيد وهى قرية عظيمة مشهورة قد خربتا الآن • وأنتقل الآن الى قرية الاهواب والبندر الآن يسمى البقعة وباب الى الجهة الشمالية وهو المسمى باب سهام وينفذ الى وادي رمع ثم الى وادي سهام وهو وجه المدينة وغرتها • وباب الى الجهة الجنوبية وهو المسمى باب القرتب ينفذ الى وادى زبيد ثم الى قرية القرتب ، وهى قرية من قرى الوادى زبيد مشهور هنالك وكان بناء السور المذكور باللبن والطين وأبوابه بالآجر فى الهواء نحو من عشرة أذرع • وقال فى كتاب المستنصر قال ابن المجاور

وعددت ابراج مدينة زبيد فوجدتها مائة برج وسبعة ابراج بين كل برج وبرج ثمانون ذراعا وتسعمائة ذراع والله أعلم •

وقال الفقيه علي بن الحسن الخزرجي قابله الله بجوده وكرمه ويزيده أن هذا الذى ذكره ابن المجاور غير صحيح فأن مساحتها على ما ذكر تسعمائة معاد واربعون معادا او نحو من ثلث معاد سمعت ذلك ممن أثق به قال المصنف أيده الله ثم مسحت زبيد فى الدولة الافضلية وذلك فى سنة تسع وستين وسبعمائة وكان السلطان الملك الافضل رحمه الله يومئذ اشتغل فى الدار المذكور من جملة المزخرفين فباشر السلطان الافضل رحمه الله العمارة فى يوم من الايام ووقف فى المجلس الذى كان يشتغل فيه يومئذ فذكر بعض الحاضرين من جلسائه يومئذ علو همة الملك المجاهد رحمه الله وما أبقاه من المآثر وانه الذى مدّن ثعبان واتخذها مسكنا وبنى فيها جامعا وأدار عليها سورا وجعل لها ابوابا وأبراجا وحراسا وجعل على الابواب بوابين وحراسا كمدينة زبيد وافرط المتحدث بذلك حتى قال وهى اكبر من مدينة زبيد فناضه بعض الحاضرين حينئذ فقال زبيد اكبر واوسع ولا مناسبة بينهما فأمر السلطان الملك الافضل رحمه الله حينئذ من فتح ثعبان فى يومه ذلك وارسل الى والى زبيد لفوره يأمره بمساحة مدينة زبيد فمسحت وكان الذى تولى مساحتها يومئذ الفقيه محمد بن عبدالرحمن السراج المعروف بأبي زيد والفقيه جمال الدين محمد بن ابي بكر الغراس وكانا يومئذ ابرع اهل زبيد فى هذا الفن فجاءت مساحة زبيد يومئذ ستمائة معاد واربعة وعشرون معادا ونصف وذلك من غير اختبار وهذا كله اقرب الى الصواب مما قاله ابن المجاور والله أعلم • وقال فى كتاب المستنصر أدار سيف الاسلام حول السور سورا آخر وأمر الجند أن يسكنوا فيما بين السورين بدوراتهم واولادهم فلما فرغ من السور الاول توفى قبل أن يشرع السور الثانى والله اعلم ولمامات الحسين بن سلامة فى التأريخ

المذكور ومات القائم من بنى زياد أنتقل الامر بعد ذلك الى طفل من بنى زياد قال عماره واظن اسمه عبدالله فكفلته عمة له وعبد استاذ حبشي اسمه مرجان وهو من عبيد حسين بن سلامة فأستقرت الوزارة لمرجان وكان لمرجان عبدان من الحبشة فحلان رباهما فى الصغر وولاهما الامور فى الكبر ليسمى احدهما نفيسا وهو الذى يتولى التدبير بالحصن والعبد الثانى نجاحا وكان يتولى اعمال الكدراء والمهجم ومور وبيش وهذه الاعمال الاربعة جل الاعمال الشامية غير زبيد فوقع التنافس بين نفيس ونجاح عبدى مرجان على وزارة الحضوة وكان نفيس ظالما غشوما مرهوبا وكان نجاح رؤفا رحيما عادلا فى الرعايا محبوبا اليهم وكان مرجان مولاهما يفضل نفيسا على نجاح وكان بن زياد وعمته يفضلان نجاحا على نفيس فعلم نفيس ان ابن زياد وعمته يكاتبان نجاحا ويفضلانه عليه فشكا من فعلهما الى سيده مرجان فقبض عليهما ودفعهما الى نفيس فأخذهما نفيس وبنى عليهما جدارا وهما قائمان يناشدانه الله عز وجل حتى ختمه عليهما وكان آخر العهد بهما وذلك فى سبع واربع ماية وكان نجاح يومئذ غائبا بالاعمال الشامية عن زبيد فكان هذا الولد من بني زياد وخمسة آخر من ولى من بني زياد وكان مدتهم في اليمن مائتي سنة وثلاث سنين وذلك من سنة اربع ومائتين وهو اختطاط مدينة زبيد الى سنة سبع واربعماية والله اعلم • وقد كان بنوا زياد لما علموا باختلال الدولة العباسية من قبل المتوكل وخلع المستعين تغلبوا على ارتفاع اليمن وركبوا بالمظلة وساسوا قلوب الرعايا بأبقاء الخطبة لبني العباس ولم يزالوا على ذلك الى التأريخ المذكور والله اعلم •

وصف المخطوط :

تضم مكتبة الحرم المكي الشريف مخطوطات قيمة كثيرة ، فى مختلف حقول المعرفة ، فى التفسير والفقه والحديث والنحو والادب والتاريخ ، وغيرها من ميادين العلوم والفنون الاخرى التي تناولها المؤرخون

المسلمون بالبحث والتقصى والاهتمام •

ومن المخطوطات المهمة التى عنى مؤلفها ببعض الفترات فى التاريخ الاسلامي مخطوط « العسجد المسبوك فى مـــن تولى اليمن من الملوك » للفقيـــه الفاضل العلامة النسابة المحقق شمس‌الدين أبي الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر الحسن الخزرجي الانصارى ، وهو مجلد واحـــد محفوظ بمكتبة الحرم المكي برقم ٤٨ تأريخ •

يقع المخطوط فى خمسمائة وثمان صفحات قياس كـــل ورقـــة ٢٧ × ١٩سم ومتنه محدد بأطار خط بالحبر الاحمر قياسه ٢٢ × ١٢سم ، وكتبت أسطره بخط النسخ وبمداد أسود •

يبدأ المخطوط بورقة كتب فى أعلاها عنوان الكتاب واسم المؤلف ، كما تضم سبع تملكات أربع منها قد طمست بخطوط سوداء ، منها تملك الشيخ محمد ابن زين العابدين ، ثم تملك الشيخ ناصر عبدالغني فى عام ١١٤٣ ، ثم تملك ولده محمد ناصر بن عبدالغني ، ثم تملك الحاج سالم فى سنة ١٢٢٣ •

يضم المخطوط بابين ، هما البـاب الرابع والبـاب الخامس ، يتـألف الباب الرابع من عشرة فصول هي :

الفصل الاول ـ فى فضل اليمن

الفصل الثاني ـ فى ذكر اسلام أهل اليمن وذكر عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم •

الفصل الثالث ـ فى ذكر عمال اليمن بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم •

الفصل الرابع ـ فى ذكر عمال بني أمية

الفصل الخامس ـ فى ذكر عمال اليمن فى الدولة العباسية

الفصل السادس ـ فى ذكر القرامطة باليمن

الفصل السابع ـ فى ذكر الامراء المتغلبين على صنعاء

الفصل الثامن ـ فى ذكر الدولة الصليحية

الفصل التاسع ـ فى ذكر ملوك صفاء بعد الصليحيين

الفصل العاشر ـ فى اخبار الدولة الزريعية واستيلاء الزريعيين •

أما الباب الخامس فيتألف من اثني عشر فصلاً هي :ـ

الفصل الاول ـ فى ذكر اختطاط زبيد وتملك بني زياد

الفصل الثاني ـ فى ذكر ملوك الحبشة باليمن من ال نجاح

الفصل الثالث ـ فى ذكر وزراء ال نجاح

الفصل الرابع ـ فى ذكر قيام علي بن مهدي القاسم باليمن •

الفصل الخامس ـ فى ذكر دولة بني أيوب واول دخولهم اليمن

الفصل السادس ـ فى ذكر الدولة العز الرسولية الزهراء وذكر قيام السلطان نورالدين أبي الفتح عمر بن علي بن رسول النساتي •

الفصل السابع ـ فى ذكر التبع الاكبر مولانا السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول •

الفصل الثامن ـ فى ذكر دولة مولانا السلطان الملك الاشرف ممهد الدين عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول •

الفصل التاسع ـ فى ذكر دولة مولانا الملك المؤيد

الفصل العاشر ـ فى ذكر دولة مولانا السلطان الملك المجاهد سيف الاسلام •

الفصل الحادي عشر ـ فى ذكر الدولة الافضلية

الفصل الثالث عشر ـ فى ذكر الدولة الاشرفية •

أما ناسخ المخطوط فهو عبدالله بن يحيى بن علي بن ابراهيم بن المهدى بن احمد بن حماف وقد تم نسخه كما ذكر الناسخ بعد العصر من

يوم الجمعة ثاني عشر جمادي الآخرة من سنة خمس وتسعين وتسعماية •

لقد تم كتابه المخطوط ، كما اسلفت ، بخط النسخ ، ما عدا عناوين الابواب والفصول ، واسماء بعض الرواة ، وكلمات فى مقدمة كل رواية مثل روى ، وفى هـذه السنة ، وفى سنة ، فلمـا توفى ، وفى أيـام ، وفى أيامه ، وقال الفقيه ، ••• فانها قد كتبت بخط الثلث •

لم توضع كلمات عنوان الباب الرابـع داخل اطـــار من الخطوط المستقيمة ، الا أن كلمـــات عنوان الباب الخامس وضعت داخل اطـــار مستطيل ، أما عناوين الفصول فقد وضع بعضها داخل أطر بينما ترك البعض الآخر منها من غير أطر، فالفصول الاول والثاني والثالث والرابع والخامس من الباب الرابع والفصل الاول من الباب الخامس تركت من غـير أطر • أما الفصول السادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر من الباب الرابع والفصول الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثـــامن والتاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر فقد وضعت جميعها داخـــل أطر •

مراجع البحث :

١ ـ العسجد المسبوك فى من تولى اليمن من الملوك

تأليف : شمس الدين أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن الخزرجي الانصاري مخطوط محفوظ بمكتبة الحرم المكي الشريف (تأريخ ٤٨) •

٢ ـ قرة العيون فى أخبار اليمن الميمون

تأليف : وجيه الدين عبدالرحمن بن علي بن محمـد بن عمر الديبع الشيباني الشافعي مخطوط محفوظ بمكتبـة الحـرم المكي الشريف (تأريخ ٧١) •

٣ ـ كتاب العقود اللؤلؤية فى تأريخ الدولة الرسولية

تأليف : الشيخ علي بن الحسن الخزرجي

عنى بتصحيحه وتنقيحه الشيخ محمد بسيوني عسل ، جزءان ، مطبعة الهلال بالقاهرة ١٣٢٩ هـ ـ ١٩١١ م .

٤ ـ الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ

تأليف : الحافظ المؤرخ الحجة شمس‌الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي المتوفى عام ٩٠٢ عنى بنشره القدسي ، دمشق عام ١٣٤٩ .

٥ ـ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب

أبو الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ القاهرة ١٣٥١ .

٦ ـ الضوء اللامع لاهل القرن التاسع

تأليف شمس‌الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي طبع القاهرة ١٣٥٤ .

٧ ـ معجم المؤلفين « تراجم مصنفي الكتب العربية »

تأليف عمر رضا كحالة ، دمشق ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٩ م .

٨ ـ الاعلام

تأليف : خيرالدين الزركلي .

٩ ـ تأريخ آداب اللغة العربية .

جرجي زيدان ، طبعة جديدة راجعها وعلق عليها الدكتور شوقي ضيف . القاهرة .

١٠ـ الفهرس التمهيدي للمخطوطات المصورة حتى أواخر شهر تشرين أول ١٩٤٨

أصدرته جامعة الدول العربية (الامانة العامة) الادارة الثقافية ص ٤٠٨ .

١١ـ الاكليـل •

أبو محمد الحسن بن أحمـد بن يعقوب الهمـداني (المتوفى) ٣٣١ هـ ـ ٩٤٥ م الجزء الاول ، والثاني ، حقق وعلق حواشـيه ، محمد بن علي الاكوع الجوالي ، طبع بالقاهرة ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م •

الجزء الثامن ـ أخرجه الأب أنستاس ماري الكـرملي البغدادي • طبع ببغداد ١٩٣١ •

الكتاب العاشر ـ حققه محب‌الدين الخطيب •

١٢ـ تأريخ اليمن « المسمى 'فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتأريخ اليمن »

تأليف : العلامة الشيخ عبدالواسع بن يحيى الواسعي اليماني طبع بالقاهرة ١٣٦٦ هـ ـ ١٩٤٧ م •

١٣ـ تأريخ اليمن

١ ـ للفقيه الاديب نجم‌الدين عمارة بن ابي الحسن علي الحكمي اليمني •

٢ ـ ويليه المختصر المنقول من كتاب العبر للقاضي عبدالرحمن بن المغربي • ثم أخبار القرامطة باليمن تأليف الجندي •

حقق نصه وعلق عليه بالاضافة الى مقدمة وتعليقات الناشر (كاي) سنة ١٨٩٢ ، الدكتور حسن سليمان محمود طبع بمصر •

١٤ـ محب‌الدين ابي الفيض السيد محمـد مرتضى الحسيني الواسـطي الزبيدي الحنفي •

تاج العروس ، يتكلم عن زبيد فى ج٢ ص/٣٦١ ، ٣٦٢ •

١٥ـ الشيخ الامام شهاب‌الدين ابي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحمـوي الرومي البغدادي •

معجم البلدان • طبع بيروت ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م [ج٣ ص١٣١ـ١٣٢]

١٦ـ الشيخ العلامة عزالدين ابي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني المعروف بابن الأثير • الكامل فى التأريخ ، بيروت ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م •

١٧ـ تأريخ ابو الفدا • (المختصر فى أخبار البشر) •

١٨ـ تاج الدين عبدالباقي بن عبدالمجيد اليماني ، تحقيق مصطفى حجازي، تأريخ اليمن المسمى « بهجة الزمن فى تأريخ اليمن » مصر ١٩٦٥ •

١٩ـ مخطوط محفوظ بمكتبة الحرم المكي برقم ١٧٩/تأريخ تحت عنوان البرق اليماني للقطبي ، [وعليه هامش مستدرك كتبه مدير مكتبة الحرم المكي بأن هذا الكتاب ليس هو البرق اليماني وانما ينقل عنه كثيراً وهو فى تأريخ اليمن ولا نعلم مؤلفه وهو من أهل القرن الحادي عشر كما يظهر ذلك من نهايته] •

٢٠ـ القاضي حسين بن احمد العرشي (ختم حوادثه فى سنة ١٣١٨هـ ـ ١٩٠٠م) •

عنى بنشره الأب انستاس ماري الكرملي •

كتاب بلوغ المرام فى شرح مسك الختام فى من تولى ملك اليمن من ملك وامام • القاهرة ١٩٣٩ •